(صديقي الشبح)

هنا في وادي الأموات

وبعيداً عن الأضواء المتلونة والمنبثقة من المدينة

أحب أن أكون وحدي

أنا وتلك المحاريب الشاهدة على ملامح من يغفون تحت الثرى

فهنا عند حافة الصمت تسكن أشباحنا

مُقتلعة العيون والشفاه وملمس الأيدى الدافئ

هنا لا توجد حرارة كافية كي يتحرك لساني

فالصمت يحمل برودة الأحزان

هنا نباتات لم تزرعها أيدي البشر

حتى لا تذبل حزناً على فراق أحد

بين تلك الحشائش أرخيت جسدي

ربما أنصت لصراخ أحدهم أو عبور طيف

وكي أراقب لحظة التحول في الضوء بين النهار والليل

ما أن بدأ الكرى يحوم ليلف كل السماء

حتى شعرت بأن النعاس يسيطر على كل جسدي المنهك

وقتها سمعت همهمات وأصوات

كسقوط المطر على الأرصفة تطرق أبواب الغابة المسحورة

انتبهت والخوف يبرز من عيني

فوجدت أشباح بين الأشجار الكثيفة

تجر وراءها بعضاً من بقايا أكفانها

قُمت وأنا أتحسس الأرض حافياً

وعلى أطراف أصابعي مضيت حيث شاهد قبري

كان على مقربة مني

فاختبأت خلفه وأنا أجاهد نبضات قلبي الوجلة

التي كانت تكاد تفصح عن مكاني

بين ساحة القبور وتلك الأشجار التي تنتصب

كما مدرجات مسرح روماني

كانت هناك مساحة أظنها كافية بيني وتلك الأشباح

التي تسير خلف بعضها البعض وكأنها فى مسيرة جنائزية

ثم وفجأة توقفوا وخرج من بينهم نفر

كان يتقدم نحوي ببطئ شديد

تملكني الذعر وتمنيت أن أسقط في إغماءة لا أنهض منها أبداً

غير أنه أسرع في خطواته تجاهي

وهو يشير نحوي بأصبع الإتهام

صارخاً أخرج أيها الشبح المُختبئ خلف الحقيقة

ارتعدت أوصالي

وكأني فريسة سائغة سقطت بين أنياب أكلى لحوم البشر

قال اقترب

جثيت على ركبتي أمامه كأسير حرب

جمعت قواي لأختلس نظرة إلى وجهه

فإذ به وكأنه كل الكهوف المظلمة

التي يصرخ فيها صوت الذئاب

كان تجويف عينيه يخرج منهما شُهباً محملة بنار متوقدة

وأصوات الرياح تجوب بين ضلوعه

بصوتٍ حاد كنصل سكين

قال أتحسبنا أشباح ؟؟

تمتمت " كأنكم أشباح "

قال بل نحن الحقيقة لو تعلم

فبينكم وبين أن تكونوا مثلنا

أن تخلعوا عنكم شفاهكم وجلودكم وثيابكم وزينتكم

أن تتحرروا من الكذب والغش والخداع والنفاق

أن تتحرروا من قلاعكم وحصونكم وقصوركم وسروحكم

أن تتحرروا من التفاهة والبلاهة والتخلف والسذاجة

بيننا وبينكم أن تتحرروا من سفك الدماء وشراهة البطون

أن تتحرروا من العدو خلف الزمن

بيننا وبينكم أننا حقيقة كما هذا النصب الذي إختبأت خلفه

لكنكم تعشقون حياة الأشباح

فتخافون الغد وتخافون الموت

وقتها نسيت خوفي

فقلت بصوت المدافع عن حقوق الإنسان

وماذا تعرف أنت عن حياة البشر

أن حياتنا ملؤها العناء لذا نروح عن أنفسنا بعض الشئ

وما يفصلنا أن نكون ملائكة أننا نأكل وننام ونضاجع النساء

قال ضاحكاً وبصوتٍ صدأ وقد ظهرت لي بقايا أسنانه السوداء

" كي تكونوا ملائكة عليكم أن تتخلصوا من بشريتكم الحمقاء "

ثم هتف انظر لنا

لا نملك رداء إلا تلك البقايا

غير أننا تركنا الهواء يمر بداخلنا

كي ينقي جوانحنا من براثن النفاق

وقطعنا ألسنتنا الشمطاء

وسكنا قبواً ضيقاً مفتاحه معنا

نرحل في كل ليلة نتفقدكم ونسخر منكم

وننظر من سيجئ إلينا

كي نجلسه على كرسي التوبيخ

ثم أعقب انظر

انظر إلى بيوتكم صماء خرساء

وأنتم جاثمين بداخلها بقايا أشباح لحقيقة قادمة

ثم قال يا هذا

أخبرهم أنهم أشباح وأن الحقيقة غداً